القصص الديني

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

سليمان وبلقيس

عبد الحميد جودة السحار

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة ـ سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

جَلَسَ سُليمانُ على العَرشِ يَحْكُمُ بعدَ أبيهِ داود ، وكان رجُلاً رحِيمًا عادِلاً فى أَحْكامِه .

لِذلِكَ قالَ اللّه له : سأُعطيكَ كل ما تطلُب ، فاطلب ما تريد .

قال : ربِّ اغفِرْ لى ، وهَبْ لى مُلْكًا لا يَنْبَغِى لأحَدٍ مِن بَعْدِى ، إنّكَ أنتَ الوَهّاب .

فَسَخَّرَ اللّه لَهُ الرِّيحَ تطاوعُه ، وتَجْرى حَسَبَ رَغْبَتِه . وسَخَّرَ لهُ الشّياطينَ يُطِيعُونَه ويُنَفِّذونَ أَوامِرَه ، ويَصْنَعونَ له كلَّ ما يَطلُب .

وعَلَّمَهُ لُغَةَ الطَّيْرِ والحَيوان ؛ فصارَ يَفْهَمُ ما تريد ، ويعرِفُ كيفَ يتفاهَمُ بعضُها معَ بَعض .

فَشَكَرَ سُلَيْمانُ ربَّه ، وزادَ فى العِبادَةِ ليُديمَ اللّه عليه هذه النِّعَمَ العظيمة .

٢

وفى يوم خرجَ سُليمانُ فى جيشهِ العظيم ، والطَّيرُ سائِرةٌ معه تُظِلُّه بأجْنحَتِها مِنَ الشمس .

« حتّى إذا أتَوْا علَى وادِى النّمل ، قالَتْ نَمْلةٌ يا أيُّها النّملُ ادخُلُوا مساكِنَكُم ، لا يَحْطِمَنَّكُم سليمانُ وجُنودُهُ وهم لا يشعرون » .

فتبسَّمَ ضاحِكًا من قَولِها ، وقال : « ربِّ أوْزِعْنى أنْ أشْكُرَ نِعْمَتَكَ التى أنْعَمْتَ علَىَّ وعلى والِدَىَّ ، وأنْ أعْمَلَ صالِحًا تَرْضاه ، وأدْخِلْنى برحمَتِكَ فى عِبادِكَ الصَّالِحين » .

ثمَّ وقَفَ سُليمانُ يَسْتَعْرِضُ الجَيش . ونَظَرَ إلى ناحيةِ

الطَّيرِ فلمْ يَجد الهُدْهُدَ من بين الطُّيور ، فقال :

« ما لِيَ لا أَرَى الهدهد ؟ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبين ؟ »

وكانَ الهُدهُد قد ذَهَبَ وتركَ مكانَه دونَ أَن يستأْذِنَ منه ، فغَضِبَ سُليمانُ وقال :

« لأُعَذِّبَنَّهُ عذابًا شديدًا ، أَو لأَذْبَحَنَّهُ ، أَو ليأْتِيَنِّي بسلْطانٍ مُبين (يعني بحُجَّةٍ تُنجيهِ مِن هذه الوَرطة) .

وغابَ الهدهدُ غَيْبَةً طويلَة ، ثم عاد ، وقبْلَ أنْ يسْأَله سليمانُ عن سببِ غَيْبَتِه ، أَسرَعَ يقول لِيُبرِّئَ نَفْسَه :

ـ اطَّلَعْتُ على ما لَمْ تَطَّلِعْ عَلَيه ، وجئْتُكَ مِنْ مَملكَةِ سَبَإٍ بخَبَرٍ صادق .

فلمْ يُجبْهُ سليمانُ لأَنّه كان غضبان ، فاستمرَّ الهدهدُ يقول :

ـ إنِّي وَجَدْتُ امرأَةً تحكمهم ، وهي ملكة غَنيَّة عندَها من كلِّ شيء ، ولها عَرْشٌ عظيم .

وجَدْتُها وقومَها يسجُدونَ للشمسِ من دُونِ اللّه ، ويعبدونَها ولا يعبُدونَ اللّه .

قال سليمان :

ـ سَنَنْظُرُ أَصدَقْتَ أَمْ كنتَ من الكاذِبِين .

وجَلَسَ سُلَيمانُ يكتُبُ رسالَة ، والهدهدُ واقِفٌ أَمامَه يرتعش . ولا يعرِفُ ما هذا الذى يكتبه المَلِك ، حتى إذا انتهى سليمان قال للهدهد :

ـ اذهبْ بكتابى هذا إلَى سَبأ ، وأَلْقِهِ إلى بَلْقيس ، وانْظُرْ ماذا تفعَلُ ويفعَلُ رِجالُها بعد قِراءَةِ هذا الكتاب ، وعُد إلَيَّ سريعا .

فأَخَذَ الهدهدُ كتابَ سلَيمانُ فى مِنقارِه وطار .

٣

كانت بَلْقيسُ نائِمةً فى سَريرِها فى غُرفَةِ نومِها ، وجاءَ الهدهدُ ودخلَ إلى الغُرفةِ من نافذةٍ كانت

مفتوحة ، وأَلقى الكتابَ عليها فسقَطَ على صدْرِها ، وأَخَذَتِ الكتابَ وهى تَعْجَب ، فما كان أَحَدٌ يستطِيعُ أنْ يَدخُلَ غُرْفَةَ نومها ، لأنَّ الحَرَسَ واقفونَ أَمامَها يحرسُونَها .

أَخَذَتِ الكتابَ وقلَّبَتْهُ فى يدِها ، وفَتَحَتْه وقَرَأَتْهُ ثُمَّ جَمَعَتْ أُمَراءَها ووزراءَها وأَكابرَ دولَتِها وقالت لهم :

- يا أَيُّها الأُمراءُ والوُزراءُ وأَكابرَ دَولَتى ، إِنَّهُ أُلْقِىَ إِلَىَّ كتابٌ كريم ، إِنَّهُ من سليمانَ وقد بدأَهُ بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم ، وقدْ طَلَبَ مِنّا فيه أَنْ نَتْرُكَ عِبادَةَ الشَّمس ، وأَن نعبُدَ اللَّه الذى يعبده .

وسَكَتَتْ قَليلا ، ثم قالَتْ لهم :

- أَيُّها الناس ، قولوا لِى ماذا نفعل ، إِنَّنى لَنْ أَفْعَلَ شيئًا إلاَّ برَأْيكم .

فقالُوا لها :

ـ إنّنا أَقْوِياءُ وعندَنا الجيوشُ العظيمة ، ونستطيع أن نُحارِبَه لو جاءَ لِحَرْبنا ، ومعَ هذا فإنّنا نترُكُ الأَمرَ لك .

فقالت لهم بَلقيس :

ـ هذا ليسَ بالرّأى ، لأَنَّ الحَرْبَ تُفْسِدُ كلَّ شىء ، والمُلوك إذا غزَوْا دولةً ودَخَلُوها أفْسَدُوها وجَعَلُوا أَعِزّةَ أَهْلِها أَذِلّة ، فإذا جاءَ هذا المَلِكُ وحارَبَنا ، وانتصَرَ علَينا ، هَدَّمَ بيُوتَنا ، وقَتّلَ رِجالَنا ، فنُصْبِحُ ضِعافًا لا نملِكُ شيئا .

فقالوا لها :

ـ فماذا ترَيْن أَنْ نفعَل ؟

فقالت بلقيس :

ـ سأُرْسِلُ إلَيْهِ هَدِيَّة ، وأَنْتَظِرُ ما يُخبِرُني به الرِّجالُ الذينَ سأُرسِلهم إليه .

وأَرْسَلَتْ إِلَى رجُلٍ من كِبارِ رجالِها وقالت له :

ـ سأُرسِلُكَ إِلَى سُليمانَ بهدايا ، فانْظُرْ ما يَفْعَلُه واعرفْ لى قُوَّته ، وعدْ إِلَيَّ وأَخبِرنى بكل شىءٍ عرفته عنه .

وخرجَ رسولُ بَلْقيس إلى سليمانَ يحملُ الهَدايا ، وخرج معه رجالٌ كثيرون ، وطارَ الهدهدُ ، رسول سليمان ، ليقُصَّ عليه كلَّ ما جَرَى فى قصرِ بلقيس .

٤

قال الهدهدُ لسليمان : إنَّ بلقيس أَرسلت لك هدايا كثيرة .

فأَراد سليمانُ أَن يعرِضَ أَمامَ رسولِ بلقيسَ عظَمةَ ملكِه ، فأَمَرَ الجِنَّ والإِنسَ أَنْ يُجَهِّزوا مكانَ الاستِقْبال ، فجاءُوا بكلِّ الأَشياءِ الجميلة وزَيَّنوا بها المكان .

وجلَسَ سليمانُ على كُرسيِّه ، وأَحاطَ به خلقٌ كثير ، وظَلَّلَتْهُ الطُّيور . وجاءَ رسولُ بلْقيس ، فلمَّا رأَى مكانَ الاستقبال لم يصدِّق عينيه ، لأَنَّه لم يرَ في حياتِه مثلَ هذه العَظَمة أَبدا ، ولم يَرَ الطُّيورَ تُظَلِّلُ إنسانًا من قبل . وشعَرَ بأَنَّه صغيرٌ أمامَ سليمان .

فتقدَّمَ وهو مَدْهُوش ، وقَدَّمَ إلَى سليمان الهدية ، فرفض سليمان أن يقبَلَها منه ، لأَنَّه لا يُريدُ هداياهُم ، ولكنَّه يُريدُ أَن يترُكُوا عبادةَ الشمس ، وأَن يعبُدُوا اللّه ربَّهم الذى خلقَهم ، وأَعطاهم كل ما هم فيه من خير .

قال سليمان :

ـ أَتُعْطُونَنِي مالا ؟! إنَّ اللّه أَعْطانى كلَّ شيء وأَنا فى غِنًى عن أَموالِكم ، إنَّكُم تفرَحونَ بهدِيَّتِكم ولكنِّنِي لا أَفْرَحُ إلا إذا اهتدَيْتُمْ إلى اللّه ، وترَكْتُم عبادَةَ الشمس . ارجِعْ إلى مَن أَرسَلُوك ، وقُلْ لهم إنِّى قادِمٌ

إليهم فى جيشٍ عظيم لا يقدرون عليه ، وسأُخرِجُهُم من بلادِهم ، وسأَجْعَلُهُم أذِلّةً بعدَ عِزّ .

٥

عادَ رسولُ بَلقيس إلى بِلادِه ، ودخلَ على المَلكة فقالت له :

- ماذا فعَلْت ؟

فقال لها :

- ردَّ سليمانُ هَداياكِ ولم يَقْبَلْها .

فقالت وهى تتعَجَّب :

- ردَّ هَدَايانا العَظيمة ؟

فقال الرسول :

- إنَّ هَدايانا لا تُساوى شيئا فى مُلْكِه ، إنَّ الجنَّ يسْمَعُونَ أوامِرَه ، والطيورَ تظَلّلُه من الشمس ، والرِّيحَ

تسيرُ بـأَمْرِه ؛ مَلِـكٌ لم أَرَ مثْلَـه فـى الملـوك ، ولم أَسْـمَعْ بمثله .

فقالت له بلقيس :

ـ ماذا قال لك ؟

فقال الرسول :

ـ قال إِنَّه سيأَتى بجيش عظيم ليُحارِبَنا ، إذا لم نـترك عبادةَ الشمس ، ونعبُدِ اللّه الذى يعبُدُه .

فقالت له بلقيس :

ـ فماذا ترى ؟

قال لها :

ـ أَرى أَنَّنا لا نستطيعُ أَن نحارِبَ هذا الملك ، إِنَّنا إذا حاربناه انهزمنا ، وخسرنا كل ما نملك .

فسكتت بلقيسُ قليلا ، ثم قالت :

ـ سأَذهَبُ أَنا لأُقابِلَه .

٦

استعدَّتْ بَلْقيسُ للذّهاب لمقابلة سليمان ، وقبل أن تترك مملكتها فكّرت فى أن تضعَ عَرشَها فى مكانٍ أَمين ، لأَنها كانت تخافُ عليه ، فهوَ عرشٌ عظيم يطمعُ الناسُ فيه ، فوضَعَتْه فى غُرفَة ، وأَغْلَقَتْ عليه الأَبواب ، ووقفَ على الأَبوابِ الحُرّاسُ يَحْرُسونَ العَرشَ النّادِر .

ولما انتهتْ بَلقيسُ من حِفْظِ عَرشِها ، خرجَتْ وحَولَها الأُمراءُ والوزراءُ ورجالُ الدَّولة ، وسافرتْ حتّى اقتربتْ من مملكة سليمان ، فسمع سليمان ضوضاءَ الخيلِ والرِّجال ، وعرفَ أَنّها بلقيسُ ومَنْ معها .

ففكّر فى أَنْ يفعَلَ شيئًا عظيما ، لتعرِفَ أنّه أَعْظَم

مَلِكٍ في الأَرض . وكان الهدهدُ قد وصَفَ له عرشَها وقال : إنّه أَعظَمُ شَيءٍ في مملكتها . ففكّرَ سليمانُ في أَن يُحضِرَ لها في هذه اللحظة عرشَها الذى أَغْلَقَتْ دونَه الأبواب ، ليكونَ ذلكَ دليلاً على قدرةِ اللّه الّذى يعبُده . فَجَمَعَ سَليمانُ الجنَّ والإِنسَ وقال لهم :

ـ مَن منكُم يستطيع أَن يُحضِرَ لى عَرشَ بلقيسَ من مملكتِها ، قبل أَن تصِلَ بلقيس إلى هنا ؟

قال عِفْريتٌ من الجنِّ :

« أَنا آتيكَ به قبلَ أَنْ تقومَ مِن مَقامِك ، وإِنّى عليهِ لَقَوىٌّ أَمين » . ولَنْ يَضيعَ شىءٌ من جواهِرِه في الطّريق .

وقال رجلٌ قوىُّ الإيمان باللّه :

« أَنا آتِيكَ بهِ قبلَ أن يرتَدَّ إِلَيكَ طرفُك » (يعنى قبل أن تُغْمِضَ عينيك وتفتحهما) .

فأَمَره سليمانُ أَن يُحضِرَه ، فقال له الرجل العالِم :

ـ انظر يا نبيَّ اللّه إلى جهةِ اليمين .

فنظَرَ سليمان .

فقال له الرجل العالِم :

ـ انظر يا نبيَّ اللّه أمامَك .

فنظَرَ سليمانُ فرأى أمامَه عَرشَ بَلْقيس ، العرش الذى أَحضَرَهُ الرَّجل المُتَّصِلُ باللّه من بلادٍ بعيدةٍ جدًّا فى غَمضَةِ عَين . لقدِ استطاعَ الرَّجُل أن يُحضِرَ عَرشَ بلقيس من بلادِها إلى بلاد سليمان فى لحظة ، بينما بلقيس قطعتْ هذه المَسافة فى أَسابيع وأَيام .

نظر سليمان إلى العرش فرآه مصنوعًا من الذهب ومُطَعَّمًا بالياقوتِ الأحمر ، ووجدَ أَنَّهُ عرش جميل . وتذكّر أَنَّ اللّه أَكْرَمَه لأَنَّهُ جعلَ فى إمكان أَحدِ رجالِه أَن يُحضِرَ العرشَ العظيمَ من بلادٍ بعيدة ، فى لَمحةِ

عَين . فخَفَضَ رأْسَه فى تَواضُع وقال :

« هذا من فَضْلِ ربّى ليبلُوَنى أأشْكُرُ أم أَكْفُر ، ومَن شكَرَ فإنّما يشكُرُ لِنَفْسِه ، ومَن كفرَ فإنَّ ربِّى غَنِىٌّ كريم » .

وأَرادَ سليمانُ أَن يختبرَ بلقيس ، فقال لمن كان عنده :

غَيِّروا شكلَ هذا العَرشِ لِنَرى إذا كانت تعرِفُه .

فأَخذوا يَزيدون فيه ويَنقُصونَ منه .

وأَمَرَهُم أَن يبنُوا قصْرًا كبيرًا من البِلَّوْرِ ويضعُوا فيهِ العَرْش ، فَبنوهُ ووضعُوا العَرْشَ فيه ، فكان يظهَرُ كأَنَّهُ وُضِعَ على الماء .

وجاءَتْ بلقيسُ وقابلتْ سليمان . وأَخذها نحوَ القَصر ثم أَشارَ إلى العرش وقال : أَهكذا عرشُك ؟

فأَخذتْ بلقيسُ تنظر إليه وهى فى أَشدِّ العجَب . إنّه مثلُ عرشِها ، ولكنّها ما كانت تُصدّقُ أَنَّ أَحَدًا يستطيع أَنْ يُحضِرَ عَرْشَها مِنْ مَمْلكَتِها . إنّها وضَعَتْهُ فى مكان أَمين ، ووضعتِ الحُرّاسَ على الأَبوابِ لحراستِه ، فمن يستطيعُ أَن يُحضِرَه إلى مملكةِ سُليمان ؟

قالت : كأَنَّهُ هو .

فقالَ لها سُليمان :

ـ إنّهُ هوَ عَرشك ، وقد أَحْضَرْتُه من مملَكَتِك السّاعة .

فنظرتْ إلى سليمانَ وهى لا تكادُ تصدِّق ما يقول .

فقال لها :

ـ اذهَبى إلَيْه وانظُريه .

نظَرتْ إلى الأَرضِ فحَسِبَتْها ماء ، فرفعَتْ ذَيلَ ثوبِها حتى لا يَبتَلَّ من الماء ، فقال لها سليمان :

- لا تخافى ! إنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارير .

فدخلَتْ بلْقيس ، ورأَتِ العرشَ وعرفَتْه فقالت :

- هذا عرشى حقا .

وجلستْ بَلقيسُ على العرش ، وقد عرفَتْ أَنَّ سليمانَ رسولُ اللّه ، وأَنّها كانت مخطِئَةً إذ كانت تعبدُ الشَّمس ، وآمنتْ باللّه العظيم الذى يدعُوها إليه سليمان ، فرفعتْ رأْسِها إلى السماءِ وقالت :

- ربِّ إنِّى ظَلَمْتُ نفسِى بعبادَةِ الشَّمس ، والآن تُبْتُ وأَسْلَمْتُ مع سُلَيمانَ لله ربِّ العالَمين .

٧

كَلَّفَ سليمانُ الجنَّ أَنْ يَبنُوا له مِحرابًا فَخْمًا للصَّلاة ، وكانوا لا يعصُونَ أَوامِرَه لأَنَّهم كانوا يخافون أَن يُعاقِبَهم . وفى ذات يومٍ وقف يرقُبهم وقَدْ توكَّأَ

على عصاه ، وكان المِحرابُ قد قارَبَ على النّهاية ، وتَعِبَ الجنُّ من العمل ، وأَرادُوا أَنْ يَسْتريحُوا ، فنَظَرُوا إلَى سليمان فوجدوه متّكئًا على عصاه ، فاستمرُّوا فى عملِهم حتى انتهُوا منه .

وفجأَة سقط سليمان على الأَرض ، فأَسرَعَ الجنُّ إليه فوجدوه ميّتا . لقد مات سليمان من مُدَّةٍ طويلَة ، وظلَّ مُتّكِئًا على عَصاهُ وهو ميِّت ؛ وهم يحسِبونَ أَنّهُ حى ، ولولا أَن أَكَلَتِ الأَرضَةُ عصاهُ ما دَلّهم شىء على مَوْتِه .

فقال الجنُّ : لو كنّا نعلَمُ الغَيبَ ما استَمْرَرْنا فى العمل لسليمان وهو ميت ، وما لَبِثْنا فى العذابِ المُهين .